الفكر الصهيوني في شعر بياليك

الدكتور عبد الوهاب المسيري
ورشاد الشامي

يعد الشاعر اليهودي الروسي حييم نحمان بياليك* (١٨٧٣ — ١٩٣٤) من أكبر شعراء أدب عصر الاحياء القومي اليهودي قاطبة . وقد ولد بياليك لابوين فقيرين عام ١٨٧٣ في قرية روسية بالقرب من زيتومير . وحينما توفي ابوه وهو لا يزال في السابعة ارسل بياليك ليعيش مع جده المتدين المتزمت . وفي هذه الفترة من حياته تلقى بياليك تعليمه الديني ، وقرأ كثيرا من الكتب الدينية (التي يشير اليها في قصائده) ولكنه قرأ في الوقت ذاته عديدا من كتب دعاة « الهسكلاه » مما سبب له صراعا فكريا لم يتمكن من حسمه طيلة حياته . وحينما بلغ بياليك السابعة عشرة من عمره التحق بأكاديمية فولوزحين الدينية حيث بقي لمدة ثمانية عشر شهرا وهناك بدأ في الكتابة الادبية والتحق بجماعة « أحباء صهيون » . وحينما تخرج بياليك عام ١٨٩١ ذهب الى اودسا التي كانت آنذاك مركزا للبحث الثقافي الروسي اليهودي . وقد شجعه المفكر الصهيوني احادهعام على الكتابة وساعده على نشر قصائده الاولى . وبعد ان اشتغل بعض الوقت في الاعمال التجارية التي باء معظمها بالفشل ، اضطر بياليك للاشتغال بتدريس اللغة العبرية للصغار . وقد هاجر بياليك من روسيا السوفييتية عام ١٩٢١ ومكث لمدة ثلاث سنوات في برلين ، هاجر بعدها الى تل ابيب حيث دفن بعد موته عام ١٩٣٤ .

وقد ساهم بياليك في احياء اللغة العبرية عن طريق تحرير المجلات وتصنيف المعاجم العبرية وترجمة روائع الادب العالمي وكتابة الشعر .

ويمكننا أن نقسم قصائد بياليك الصهيونية الى اربعة أقسام تناولت الابعاد الاربعة التي دارت في اطارها ارهاصات حركة الفكر الصهيوني في مستهل القرن العشرين وهي : ١) فكرة العودة الى الارض والطبيعة ، ٢) فكرة المسيح المخلص ، ٣) فكرة نبذ الهسكلاه أو بالتحديد نبذ الاندماج في الشعوب ، ٤) موقفه من التراث اليهودي .

١) **فكرة العودة الى الارض والطبيعة** : لقد كانت العودة الى الارض — ارض فلسطين — هي الركيزة الرئيسية لفكرة « محبة صهيون » والتي عبر عنها بياليك في عدد من القصائد . وقد كانت اولى قصائده التي تحمل هذه الروح هي قصيدة « الى العصفور » التي كتبها عام ١٨٩١ . في هذه القصيدة يستخدم بياليك العصفور كرمز يخاطب من خلاله رموز الارض المقدسة ، ويطلب منه ان يخبره عن امجاد الارض القديمة ويبثه اشواقه الى هذه الارض :

---

* المصدر الذي استقينا منه هذه المعلومات عن حياة بياليك هو كتاب ارثر هرتزبرج **الفكرة الصهيونية** (نيويورك ، ١٩٥٩) ص ٢٧٨ ، اما النصوص الشعرية التي سنعرض لها بالتحليل في هذا المقال فقد قام الاستاذ رشاد الشامي بترجمتها عن العبرية .